العرب
السبت 2021/10/30
السنة 44 العدد 12225

الميزان يميل لصالح التعامل الغربي مع طالبان

عودة البعثات الدبلوماسية إلى كابول تمهد للاعتراف بحكومة طالبان

الوضع الإنساني ورقة مقايضة في يد طالبان

توظف حركة طالبان الملف الأمني والإنساني لافتكاك اعتراف دولي بالجماعة كحاكم رسمي لأفغانستان، حتى أن محللين يقولون إنها قد تلجأ لشنّ هجمات كبرى ضدّ الجماعات الجهادية المتشددة، التي تهدد أيضا أمن باكستان، لدفع الغرب للمشاركة فيها وهو ما سيمهد لعودة البعثات الدبلوماسية التي غادرت كابول نحو الدوحة وفي مقدمتها بعثات الاتحاد الأوروبي التي تعتزم العودة إلى أفغانستان خلال الفترة القادمة.

واشنطن - واجهت طالبان منذ استيلائها على السلطة في أفغانستان منتصف أغسطس، ضغوطا دولية كبيرة حيث تم تعليق جزء كبير من المساعدات الدولية وصناديق التنمية، وتجميد احتياطيات البنك المركزي الأفغاني الموجودة في الخارج. كما لم تتمكن حكومتها من الحصول على اعتراف من أي طرف في المجتمع الدولي، وتواجه الآن خطر الجماعات الإرهابية وتفاقم للأزمة الإنسانية.

ويقول المحلل السياسي والخبير في قضايا الشرق الأوسط جيمس دورسي إن كلا من طالبان وباكستان اللتين ينظر إليهما الغرب والمجتمع الدولي بحذر، تستفيدان من المخاوف المتزايدة بشأن الوضع الإنساني والأمني في أفغانستان.

جيمس دورسي

طالبان وباكستان تستفيدان من الوضع الأمني في أفغانستان

ويقترب الاتحاد الأوروبي، في خطوة قد تضع الولايات المتحدة في موقف حرج، من إعادة فتح بعثته في العاصمة الأفغانية وعرض على الدول الأعضاء استخدامها كقاعدة عملياتية لدبلوماسييها.

ويرى دورسي في تقرير لموقع مودرن دبلوماسي أن هذه الخطوة ستعزّز التعاملات الأوروبية مع طالبان، لكنها لا ترقى إلى مستوى الاعتراف الدبلوماسي بالجماعة كحكام جدد لأفغانستان.

تعامل حذر

كان الاتحاد الأوروبي ودوله الأعضاء والولايات المتحدة قد نقلت بعثاتها الدبلوماسية إلى العاصمة القطرية الدوحة في أغسطس بعد إجلائها من كابول عند سيطرة طالبان على المدينة.

وقال مسؤولون أوروبيون إن إعادة فتح بعثة الاتحاد الأوروبي كانت ضرورية لإدارة حزمة مساعدات إنسانية طارئة بقيمة مليار يورو.

وقال برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة ومنظمة الأغذية والزراعة (الفاو) هذا الأسبوع إن حوالي 19 مليون أفغاني، أو 45 في المئة من السكان، يعانون من "مستويات عالية من انعدام الأمن الغذائي". ومن المتوقع أن يقفز هذا الرقم إلى 22.8 مليون بين نوفمبر ومارس ما لم يتم اتخاذ إجراء فوري، وفقا لتقرير صدر حديثا عن الوكالتين.

وقال مسؤولون كبار بالأمم المتحدة، بمن فيهم الأمين العام أنطونيو غوتيريش، في وقت سابق إن مليون طفل معرضون لخطر الموت جوعا، وإن معدل الفقر في أفغانستان ارتفع بشدة، وإن الخدمات العامة الأساسية على وشك الانهيار. حيث تفاقمت الأزمة بسبب حقيقة أن مئات الآلاف من الناس أصبحوا بلا مأوى نتيجة القتال الأخير في البلاد.

ويمكن أن تجعل إعادة فتح بعثة الاتحاد الأوروبي في كابول أوروبا على نفس الطرف مع حلفاء الولايات المتحدة قطر وتركيا وباكستان ومنافسي الولايات المتحدة، الصين وروسيا، الذين يفضلون جميعا درجة معينة من التعامل مع طالبان وفي معظم الحالات رفع العقوبات الأميركية التي منعت الجماعة من الوصول إلى الودائع والأصول الحكومية في الخارج.

ودعا وزير الخارجية الصيني، في أول لقاء له مع طالبان في الدوحة منذ انسحاب الولايات المتحدة، إلى رفع العقوبات، وتعهد بمساعدة الحركة على "إعادة بناء البلاد". وقالت الصين مرارا إنها مستعدة للعمل مع طالبان لكنها امتنعت حتى الآن عن اتخاذ خطوات ملموسة في هذا الاتجاه.

وتخدم إعادة فتح بعثة الاتحاد الأوروبي أهداف طالبان في مواجهة صعوبة نيل قبول دولي كما ستزيد الشكوك حول استراتيجية الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب "عبر الأفق" عوضا عن المجال الإنساني والدبلوماسي.

وحرم الانسحاب من أفغانستان الولايات المتحدة وحلفاءها في الناتو من العديد من أصولهم الاستخباراتية وجمع المعلومات على الأرض. وهذا يعني أيضا أن الطائرات دون طيار والطائرات الأميركية سيتعين عليها التحليق لمسافات طويلة من منشآت "عبر الأفق" مثل القاعدة الجوية الأميركية في قطر أو السفن البحرية في مياه المحيطين الهندي والهادئ لإنجاز مهام مكافحة الإرهاب.

وقد تكون باكستان التي طالما انتُقدت بسبب دعمها المزعوم لطالبان أحد المستفيدين من التشققات في الحاجز الدولي الذي أقيم حول طالبان.

مواجهة الجهاديين

ترغب باكستان في كسب الثناء لإعطائها معلومات استخباراتية ودعما تقنيا لطالبان في قتالها ضد الدولة الإسلامية في خراسان. ويشعر الكثير من المجتمع الدولي بالقلق بشأن الدولة الإسلامية، لكنه لم يكن مستعدا للانخراط مع طالبان لمواجهة الجماعة الجهادية.

وشن تنظيم الدولة الإسلامية العشرات من الهجمات على أهداف تابعة لطالبان منذ أغسطس واستهدفت تفجيراته الثلاثة الأكثر تدميرا مطار كابول في أغسطس أثناء الإجلاء الأميركي ومؤخرا مسجدين شيعيين في قندوز وقندهار. وأثار تنظيم الدولة الإسلامية بذلك شكوكا حول قدرة طالبان على تحقيق الاستقرار في أفغانستان.

ويرجح دورسي أن تستخدم باكستان هجوما ناجحا لطالبان ضد الجماعة الجهادية لدفع الآخرين للانخراط مع طالبان أيضا.

وتعلّق باكستان وبعض مؤيدي الانخراط الآخرين آمالهم جزئيا في اعتدال طالبان على حقيقة أن الجماعة مأهولة بشكل متزايد بجيل نشأ خلال الاحتلال الذي تقوده الولايات المتحدة.

وقال الصحافي الأفغاني فضل من الله قزيزاي "يصوّر المنتقدون والمعارضون الجيل الجديد من طالبان بشكل روتيني على أنه قديم ومتطرف، وهو في الواقع نتاج عصره. فهو أكثر انفتاحا على احتمالات التغيير الاجتماعي التدريجي من أسلافه لكنّه أكثر نضالية على الصعيد السياسي. حيث يتحدث أبناء هذا الجيل الإنجليزية ولكنهم لا يثقون في الغرب، ويتبنون قراءة جيدة لكن حذرة لحرية التعبير، وهم حريصون على مساعدة بلادهم في المضي قدما دون محو ماضيها".

وقد يكون قزيزاي على حق. وإذا كان كذلك، فإن طالبان غير مستعدة للتعبير بشكل لا لبس فيه عما تعنيه بنسختها الجديدة حتى الآن. ولم تف بعد بالتعهدات المتعلقة بحقوق المرأة، بما في ذلك التعليم الثانوي والعالي.

وأفسدت حركة طالبان فرصة لكسب الثقة عندما دعا زعيم شبكة حقاني سيئة السمعة، القائم بأعمال وزير الداخلية الأفغاني سراج الدين حقاني، مؤخرا أفراد عائلات مفجرين انتحاريين تابعين لطالبان للاحتفال بأفعال أحبائهم.

وبدلا من الاعتذار للضحايا، قال حقاني، الذي حُددت مكافأة قدرها 10 ملايين دولار للقبض عليه بسبب صلاته الوثيقة بالقاعدة، للتجمع في فندق إنتركونتيننتال في كابول الذي استهدفته الجماعة مرتين إن تضحيات المفجرين هي "في سبيل الدين والوطن والإسلام ". وقال إن طالبان لم تكن لتتمكن من محاربة الولايات المتحدة لولا دعم المفجرين الانتحاريين.

وربما كان حقاني يحاول منع أولئك الذين قد يعترضون على التغيير الاجتماعي التدريجي من الانشقاق إلى الدولة الإسلامية.

وإذا كان الأمر كذلك، فقد كان حقاني يتحدث أيضا عن أن طالبان قد تكون في الوقت الحالي في مأزق لأنها تسير على خيط رفيع بين الحفاظ على بعض مظاهر الوحدة داخل صفوفها واكتساب الحد الأدنى من الثقة الدولية اللازمة للتعامل مع مشاكل أفغانستان الإنسانية والأمنية الهائلة.

> **إعادة فتح بعثة الاتحاد الأوروبي تخدم طالبان وتزيد الشكوك حول استراتيجية الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب**

التحولات تُحدد العلاقة بين واشنطن وإسلام آباد

واشنطن - لم تكن العلاقة بين الولايات المتحدة وباكستان التي تقوم على حاجة واشنطن على المدى القصير إلى تعاون باكستان لخدمة بعض المصالح الأمنية والاستراتيجية الحيوية، وحاجة باكستان على المدى الطويل إلى الدعم الاقتصادي والمساعدة الأمنية الأميركية، دون تكلفة.

وحتى عندما تتلاقى مصالحهما، فإن سياسات البلدين وتصوراتهما لم تكن في الكثير من الأحيان كذلك، ولم يتمكنا من بناء المبدأ التنظيمي لعلاقة طويلة ودائمة تقوم على إطار مفاهيمي ورؤية مشتركة واستمرارية. لكنهما أصبحتا الآن بحاجة إلى تعزيز العلاقات وسط تطورات في المشهد السياسي في المنطقة تستلزم منهما التعاون بشكل خاص.

ويقول توقير حسين، وهو سفير باكستاني سابق وأستاذ مساعد في جامعة جورج تاون، في تقرير نشرته مجلة ناشونال إنتريست، إنه في جلسة استماع عقدتها لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب في 13 سبتمبر الماضي، قال وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن إن باكستان لديها "مصالح متعددة، بعضها يتعارض مع مصالحنا".

وأوضح أنه سواء كان الأمر يتعلق بأفغانستان أو بقضايا أخرى، عاشت الولايات المتحدة دائما مع هذه الصراعات، وتأرجحت علاقات الولايات المتحدة مع باكستان بين الصراع والتعاون.

وكانت علاقات باكستان الوثيقة مع الولايات المتحدة تاريخيا نتيجة التفاعلات الجيوسياسية أو القضايا المتعلقة بالولايات المتحدة والأمن العالمي. لكن الأمور الجيوسياسية المتغيرة في القرن الحادي والعشرين، والتحديات الأمنية بعد 11 سبتمبر، حولت جنوب آسيا إلى مكان لتحالفات جديدة بين الأطراف الفاعلة الإقليمية والعالمية والتي وجدت باكستان نفسها فيها تقع في الجانب الخاطئ بالنسبة إلى واشنطن. وقد غيّر ذلك ديناميكيات انخراط الولايات المتحدة مع باكستان.

ويقول حسين إن ميزان القوى في جنوب آسيا تأثر بشكل كبير بالتوترات بين الولايات المتحدة والصين والعلاقات الوثيقة بين باكستان وبكين، والعلاقات غير العادية بين الولايات المتحدة والهند، الخصم اللدود لباكستان. فبدلا من الجمع بين باكستان والولايات المتحدة، فإن التفاعلات الجيوسياسية اليوم تفصل بينهما. أما بالنسبة إلى قضايا الأمن ومكافحة الإرهاب وأفغانستان، فإن كلا البلدين يشعران بأن أي فوائد تأتي بتكلفة هائلة.

وتستاء واشنطن من مساهمة إسلام أباد في فشل حرب أفغانستان، ومن ناحية أخرى، تشعر باكستان بالظلم لتكبدها خسائر فادحة من التأثيرات العكسية لحرب أفغانستان والحرب الأميركية على الإرهاب.

ومع ذلك، يقول حسين إن الولايات المتحدة وباكستان لا تستطيعان التخلي عن علاقاتهما. وسوف تواجه باكستان رياحا معاكسة غير مؤكدة بشأن مستقبل أفغانستان، والضغوط المستمرة من الهند الحازمة والمهيمنة، والتحديات الناجمة عن الإرهاب والتطرف في الداخل. وإن جهود إسلام أباد الرامية إلى تحقيق الاستقرار في الاقتصاد الباكستاني وتعزيز ديمقراطيتها سوف تشكل مصاعب خاصة بها. ونجاح عملية الخوض في مواجهة هذه التحديات سوف يتطلب علاقات طيبة مع كل القوى الكبرى.

وتحتاج الولايات المتحدة أيضا إلى باكستان. ولا تزال واشنطن لديها بعض المصالح المهمة المتعلقة بأمن أفغانستان واقتصادها واستقرارها، وهو ما يمكن لباكستان أن تسهله.

وتود واشنطن من إسلام أباد أن تضغط على طالبان بشأن حقوق المرأة والشمول، وأن تساعد في عمليات الإجلاء المتبقية، وأن تحقق تعاون طالبان في إضعاف تنظيم القاعدة وداعش خراسان. كما ترغب واشنطن في أن تعمل إسلام أباد ضد الإرهابيين والمتشددين العابرين للحدود الوطنية الذين يهددون استقرارها، وكذلك الجهاديين الذين يهددون الهند، وبالتالي تقويض سياسة واشنطن تجاه الصين. وأخيرا، تريد الولايات المتحدة الحد من النفوذ السياسي والاقتصادي المتنامي بسرعة للصين في باكستان.

توقير حسين

احتمال الصراع والتعاون لا يزال قائما بين البلدين

ويقول حسين إن احتمال الصراع والتعاون موجود في العلاقات الحالية بين الولايات المتحدة وباكستان، على الرغم من أنه لا توجد قضية واحدة تتفوق على كل القضايا الأخرى.

ولكن الخطاب السياسي من كلا الجانبين لا يساعد العلاقات على المضي قدما. ويحظى رئيس الوزراء عمران خان بإعجاب مؤيديه بسبب قوميته، ولكن اقتراحاته بأن باكستان لا علاقة لها بانتصار طالبان في أفغانستان، وتصريحه بأن طالبان قد كسرت "أغلال العبودية" أثارت رد فعل عنيف في واشنطن.

وفي حين هاجمت المعارضة من الحزب الجمهوري إلى حد كبير باكستان لمساعدتها طالبان على الصعود إلى السلطة وإدارة الرئيس الأميركي جو بايدن لسوء التعامل مع الانسحاب، زادت إدارة بايدن من حدة التوتر بشأن باكستان، لاسيما خلال زيارة نائبة وزير الخارجية الأميركي، ويندي شيرمان الأخيرة إلى إسلام آباد، مما أزعج الباكستانيين.

وتريد الولايات المتحدة التأكد من قدرتها على الثقة بباكستان، وتحتاج باكستان أن تثق في أن تجديد العلاقة مع واشنطن يستحق التكلفة السياسية في الداخل ولا يأتي على حساب مصالحها الاستراتيجية الأخرى. ولكن هذه ليست المشكلة الوحيدة، فالولايات المتحدة تريد علاقة محدودة في حين ترغب إسلام أباد في "علاقة متوازنة" أوسع نطاقا تكون مفيدة وتستحق المخاطر السياسية المحتملة في الداخل.

نحن في حاجة إلى المساعدات الاقتصادية لواشنطن